الفلاحة من ٤٠ عامًا

صدر العدد الخامس من السنة الرابعة لمجلة « الفلاحة » فى سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٢٤ ، وكانت فاتحة المجلة مقالا استعراضيا لتاريخ فلاحة البساتين فى مصر ، كتبه المرحوم الأستاذ إبراهيم عثمان ، أستاذ فلاحة البساتين السابق بجامعة القاهرة ، وذكر أن الخلفاء العباسيين أهملوا الأرض وقل العمران تدريجيا ، ويقال إن ثمار « عبد اللاوى » نسب إلى عبد الله بن طاهر والى مصر على عهد المأمون فى القرن التاسع الميلادى ، ولكن عندما آل الحكم إلى خمارويه ، سار سيرة أبيه أحمد بن طولون ، وبالغ فى العمارة والترف ، وغرس بستانا لم يسمع بمثله ، جمع فيه غرائب الأشجار والأزهار ، وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر ، ونقل إليه كثيرا من النباتات ، وكسا أحجام النخيل نحاسا مذهبا حسن الصنعة ، وجعل بين أجساد النخيل ميازيب الرصاص ، وأجرى فيه الماء المدبر الذى يفيض إلى مجار تسقى سائر البستان ، وأهدى إلى البستان من خراسان وغيرها كل أصل عجيب ، وطعموا له شجر المشمش باللوز وأشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن ، وبنى فيه برجا من الخشب المنقوش بالنقر النافذ وسرح فيه من أصناف القارى والدباسى والتونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت ، وكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الأنهار الجارية فى البرج ، وجعل فيه أوكارا فى قواديس لطيفة ممكنة فى جوف الحيطان لتفرخ فيه الطيور ، وسرح فى البستان من الطير العجيب شيئا كثيرا .

وقد أسس الإخشيد بستانا بجزيرة الروضة سماه « المختار » أنفق على تشييده خمسة آلاف دينار . وفى سنة ٣٥٨ هجرية (٩٦٩ ميلادية) حكم الفاطميون مصر وفى عهدهم دخلت البلاد فى عصر زاهر . . . وكانت المنازل محاطة بالحدائق وبعضها كان مركبا من سبع طبقات !

وقام الأفضل بن أمير الجيوش فى أيام المستنصر والمستعلى بإنشاء بستان « البعل » بين الترعة الإسماعيلية والخليج الآن وإليه تنسب الزراعة البعلية . قال ابن سيده « والبعل من النخل ما شرب بعروقه من غير سقى » .

وأنشأ الأفضل أيضا بستانا شمال جزيرة الروضة سماه « الروضة » سنة ١٠٨٦ ميلادية) كان يتردد إليه كثيرا ومن ذلك الحين صارت الجزيرة كلها تعرف « بالروضة » .

وذكر ناصر خسرو ما رآه معروضا فى أسواق القاهرة من الخضر والفاكهة فى اليوم الثامن عشر سنة ١٠٤٨ وهى الورد والزنبق والنرجس وزهر النارنج والبرتقال والليمون والتفاح والياسمين والبطيخ والموز والزيتون والبلح والعنب وقصب السكر وقرع الصروف والبصل والثوم والجزر والبنجر ، وقال: إن هذه الأنواع وإن كانت تنضج فى فصول مختلفة إلا أن مساحة البلاد المصرية واختلاف الطقس كفيل بإخراج هذه المحاصيل . وفى عام ٦٤٨ هجرية (١٢٥٠ ميلادية) آل أمر مصر إلى المماليك الذين أنشأ بعضهم بساتين جميلة وجلبوا إليها الأشجار من سائر البلاد حتى طلع فيها الكادى وجوز الهند وغيرها .

وذكر بعض المؤرخين أن امرأة الناصر محمد حجت عام ٧٢٤ هجرية وأرادت ألا تحرم ركبها من التمتع بأكل البقول الطرية فصنع البستانيون أصصا كبيرة من الفخار وزرعوا فيها البقول الخضراء والفاكهة وحملت على ظهور الإبل ، وأخذت لها ما يلزمها من الماء والعمال لخدمتها وريها فصارت كأنها واحة متحركة فى الصحراء ، وكان ركبها هذا مؤلفا من ثمانية آلاف شخص .

وذكر ابن اياس ، وهو من أشهر المؤرخين الذين مر عليهم اضمحلال دولة المماليك : « أن من محاسن مصر السمع زهرات التى تجتمع فى وقت واحد ، وهى : النرجس والبنفسج والبان والورد البيضى والنارنج والياسمين والورد الجورى » وفى العهد التركى لم يتمكن أحد من الولاة من عمل شىء نافع فى البلاد .

أما الموضوع الثانى من موضوعات العدد فكان (زراعة الفاكهة بالأقطار السورية ومقارنة ذلك بزراعتها فى مصر) للأستاذ منير بطرس ، وذكر أن لفاكهة المشمش بلادا تشتهر به فى الأقطار الثلاثة (مصر وسورية وفلسطين) فعندنا قرية العمار بمديرية القليوبية ، وفى القطر السورى اشتهرت بزراعته بلاد : بسوس وبعلبك ودمشق ، وفى فلسطين بلاد : بيت جبالا وبيت لحم وأرطاس . ولسوريا المقام الأول سواء من جهة جودة الصنف أو الكمية ، فإنه علاوة على ما يستهلك من ثمار المشمش فى تلك البلاد يصدر منها سنويا كميات عظيمة من قمر الدين والمشمش المجفف وبذور المشمش ، وذلك خلاف ما يصدر على شكل مربيات وسكريات . ولفلسطين المقام الثانى ، أما فى مصر فهى فى الدرجة الثالثة

بينها ، وهى أقل اهتماما بتحسين أصناف ما تزرعه ، ولعل أول أسباب ذلك اتباعها طريقة زراعة الأشجار من البذرة ، فقد ينتج من ذلك عدة أصناف ممتازة فى الجودة ولكن ينتج فى الوقت نفسه مقدار أكثر من الأصناف الرديئة ، ولا تبذل العناية اللازمة بالمحافظة على بذور الأصناف الجيدة والإكثار منها، أو اتباع طريقة التطعيم فى تكثير الأصناف الممتازة . وأحسن الأصناف السورية هو المشمش اللوزى وأشهر البلاد التى تزرعه بلدة بسوس ، والأصناف الأخرى هى المشمش الحموى ، والمشمش البلدى ، والمشمش الامريكانى ، والحوزى ، والكلابى ، وهو أقل الأصناف قيمة ويعمل منه قمر الدين بكميات هائلة . وكيفية صنعه هو أن تجمع ثمار المشمش الكلابى فى أوان كبيرة بها ثقوب رفيعة من الأسفل ، وتكبس الثمار من الأعلى فيصفى العصير التخين المتماسك قليلا وتبقى البذور والقشر ، ويفرد ذلك على قطع من القماش بعد وضع قليل من الزيت عليها قبل استعمالها . ثم تجفف فى الشمس لمدة أربعة أو خمسة أيام ، ثم تنزع لفائفه وتفصل عن القماش وتلف للتجارة والتصدير .

والبرقوق من أفخر الفواكه وأحلاها بالأقطار السورية ويسمونه خوخ ، وأغلب البرقوق المنزرع بسوريا من النوع المسمى « برونس دومستيكا » وتشتهر بلاد قب الياس وبعلبك وبسوس بكثرة ما يزرع فيها من البرقوق ، وأحسن الأصناف السورية الصنف المسمى (رين كلود) وهو مستورد من فرنسا ، والصنف المسمى (رين كلود دا كولى) ، والأصناف (بل دى تور) و (مون فور) و (ميرابل تارديف) وتشتهر بلدة قب الياس بالبرقوق الاسلامبولى وهو صنف منزرع من زمن بعيد بالأقطار السورية ويزرعون هذا الصنف كثيراً فى بعلبك، ولكنهم يطلقون عليه اسم البرقوق الماوردى . ويزرعون فى بعلبك غير هذا الصنف ثلاثة أصناف أخرى ، هى : القاسمى والقيصرى والرين كلود .

ومن موضوعات العدد أيضا (القمح أو الحنطة) كتبه مصطفى الهجينى ، مساعد فنى بقسم النباتات بالجمعية الزراعية السلطانية ، وذكر أن أحدث التقاسيم العصرية الحديثة المعتبرة مرشداً للمشتغلين بتربية أنواع القمح المختلفة فى مختلف الممالك، هى التى ذكرها العالم النباتى جون برسيفال فى سنة ١٩٢١ فى مؤلفه: (نبات

القمح) فقد حدد أنواع القمح المعروفة فى العالم إلى تقاسيم رئيسية سوى كل قسم من التقاسيم المذكورة الأنواع التى تنسب إليها جامعا بين العلاقة الطبيعية بين كل نوع وآخر مراعيا فى ذلك الصفات الظاهرية والطبيعية والتشريحية بين أنواع القمح المختلفة فى جميع جهات العالم . وسنذكر هنا ما قام به العالم برسيفال فى فحص أنواع شتى من القمح مع ذكر الصفات التى جعلها أساساً فى بحثه عند ما قام بتحديد وتقسيم تلك الأنواع . لقد ذكر برسيفال أنه زرع نحواً من الفى شكل من أشكال القمح جنبا لجنب لقصد الدرس والفحص لعدة سنوات وصار يراقب ويدون للمقارنة بين تلك الأشكال المختلفة صفاتها الظاهرية أثناء حداثتها فى النمو ، وكذا عند دور تمام نموها (نضجها) . كما أنه راقب صفاتها أثناء النمو وطور نضجها وسرعة ومقدار تأثرها بالأمراض الفطرية وكذا صفات أخرى تميز به كل هذه الصفات كان يدرسها للمقارنة بين تلك الأنواع وكذا للحصر والتمييز وتحديد الأنوع المختلفة فى كل نوع منها ومايتبعه على حدة ، ولفصل وتحديد الأنواع المختلفة لم يقتصر على الاعتماد على الصفات الخارجية الظاهرة للنباتات أثناء نموها بل اهتم أيضا بصفات الأوراق والأعضاء المتفرعة عموما لظهور ما يحدث بها من تعبيرات ذات شأن أثناء نمو النبات إذ أنها تدل على صفات وراثية فى النبات أوضح مما يظهر فى صفات السنابل والحبوب الذى كان يعتمد عليه الباحثون من قبل .

وكان تقويم الحقل « لشهرى سبتمبر وأكتوبر هو خاتمة العدد ، وكانت النصيحة الموجهة إلى زراع القطن هى مقاومة دودة اللوز باقتلاع النباتات مبكرا ما أمكن عقب الجنى وإعدام ما عليها من اللوز ، ومثل هذا العمل إذا لم تتكاتف البلاد على القيام به انعدمت الفائدة المرجوة منه .